الرسالة

(رومية ٢: ١٠–١٦)

يا إخوةُ المجدُ والكرامةُ والسلامُ لكلّ مَن يفعلُ الخيرَ من اليهودِ أولاً ثمَّ من اليونانيين* لأن ليسَ عند اللهِ محاباةٌ للوجوه* فكلُ الذين أخطأوا بدونِ الناموسِ فبدونِ الناموسِ يهلِكون. وكلُّ الذين أخطأوا في الناموسِ فبالناموسِ يُدانون* لأنَّه ليس السامِعونَ للناموسِ هم أبراراً عند الله بل العامِلونَ بالناموسِ هم يُبَرَّرون* فإنَّ الأمَم الذينَ ليس عندهم الناموسُ إذا عملوا بالطبيعةِ بما هو في الناموسِ فهؤلاءِ وإن لم يكن عندهم الناموسُ فهم ناموسٌ لأنفسهم* الذين يُظهرون عمل الناموسِ مكتوباً في قلوبهم وضميُرهم شاهدٌ وأفكارُهم تشكو أو تحتجُّ

«ليس عند الله مُحاباة للوجوه»

في مطلع نصّ الرسالة المَتلو علينا في هذا اليوم، يتوجّه القديس بولس الرسول بالتحيّة المضاعَفة إلى كلّ فاعل خير (أي إلى كلّ من كان في حياته يُرضي الله)، «من اليهود أولًا ثم من اليونانيين» (أي الذين عَرَفوا الله وآمنوا به، والذين لم يعرفوه). في الشكل، ترتدي عبارة «أولًا» طابعاً تفضيلياً لعلّ الرسول تعمّده، تعليميّاً، ليعلّي شأن الإيمان بالمطلق. بَيدَ أنّها لا تعطي، بتاتاً حقّاً مُكتَسباً للذين عرفوا الله على الذين لم يعرفوه. ذلك أن المجد والكرامة والسلام، التي يُحَيّي بها الرسول سامعيه، هي عطايا لا تكون إلا من الله وهو تعالى يُبارك بها «كل من يفعل الخير»، كائناً من كان ودونما تمييز. ولكي لا تُفهَم التحية و«أولًا» التفضيلية على غير ذلك، يختمها الرسول بأنّه «ليس عند الله محاباة للوجوه».

الله إذاً لا يُستَرضى بالإيمان والعبادة الشكليَّيْن. بهذا الكلام لا يُخاطب الرسول بولس أمّة اليهود التي كانت في زمانه وحَسب، وإلا لما كان من داعٍ لأن تُتلى علينا هذه الرسالة في الكنيسة اليوم. حال اليهود الذين كانوا مكتفين بسماع ناموس الله دون التزامه كيانياً، ولو حفظوه عن ظهر قلب وتشدّدوا في تطبيق أشكاله، هي نفسها حال كثيرين منّا اليوم الذين يتبجّحون بكونهم مسيحيين ويتباهون مُكتَفين ببعض الممارسات من أشكال العبادة. الفرّيسيّون كانوا يحفظون أسفار التوراة والأنبياء غيباً، ويطبّقون فرائض الصوم والصلاة بدقّة بالغة، ومع هذا شَبَّهَهُم ربّنا المسيح بالقبور البيضاء من الخارج وفي داخلها نَتَنٌ ورجاسة. ما لم يُتَرجم الإيمان بالله، خصوصاً بعد بُطلان الناموس بمجيء المسيح، أعمالاً وأسلوب حياة دائمًا، فهو لا يعدو كونه إرضاءً للذات وحسب. ولعلّ أمثال هؤلاء المؤمنين هم في نظر الله، الذي لا يُستَرضى بالإيمان الّشكلي، أسوأ عاقبة بكثير من المُلحِدين.

أما عن الناموس الطبيعي أو ناموس القلب، الذي يشير إليه الرسول بولس هنا، فيقول آباؤنا القدّيسون أن الإنسان في الأصل

العدد ٢٠١٥/٢٤

الأحد ١٤ حزيران

تذكار النبي أليشع وأبينا الجليل في القديسين مثوديوس المعترف

اللحن الأول

إنجيل السَحَر الثاني

مفطور على الخير، أي إن ميل قلبه الطبيعي هو نحو الخير، والله لم يخلق شيئاً في جوهَرِه شرّ. وحتى بعدما سقط الإنسان بسبب الخطيئة، لم يُعرض الله عنه بل أعطاه ناموساً وشرائع تُعينه على عدم فقدان هذا الميل الطبيعي إلى الخير. لأجل هذا يقول القدّيس بولس إن «الذين أخطأوا بدون الناموس فبدون الناموس يُدانون» وأنّهم إذا كانت أعمالهم، بالفطرة، تُلازم ما أوصى الله به يُكرمهم الله إكرام كل الذين يُرضونه، حتى ولو لم يعرفوه. أما أولئك المكتَفون بعبادة الله شكلياً، فهم في الحقيقة لا يعبُدون إلا ذواتهم. هؤلاء لم يتنكّروا لوصايا الله وحسب، إذ لم يتبنّوها ولم «يفعلوا» بُمقتضاها، بل تنكّروا أيضاً للمَيل الطبيعي نحو الخير، كما خَلَقه الله فيهم. هؤلاء بحسب الناموسَين، الطبيعي والإلهي، يُدانون. «الحكم الذي يأتي على الوجهاء لا يُشفِق، فإن الصغير يستحقّ الرحمة. أما أرباب القوة فبقوة يُفحَصون»، تقول حكمة سليمان (٦: ٦).

سُئل مرة أحد الآباء الروحيين عن بعض المجتمعات التي تُجاهر بالعلمنة وحتى الإلحاد، بينما نرى فيها في الوقت عينه الكثير من أعمال الرحمة والمحبة. أجاب فقال «تبارك الله الذي وضع هؤلاء لنا نحن المُدَّعين الإيمان به والإنتماء له، دينونةً علّنا بهم نتّعظ. فإن كان هؤلاء الذين لا يعرفون الله قادرين بالطبيعة على الرحمة والمحبة، فكم تأتي عظيمة أعمال الصلاح ممن كان مُعَزِّزاً ناموس طبيعته بإيمانه الكياني بالله». كذلك كانت إحدى قدّيساتنا الجديدات، البارة مريم الباريسية (سكوبستوف)، غالباً ما تقول «إن لم ترَ الله وتحبّه وتخدمه في الآخَر، كائناً من كان هذا الآخَر، فأنت لا تراه ولا تحبّه ولا تخدمه في أي مكان».

هذان القولان يتكاملان بمَعنَيَين، والمعنيان يتكاملان تماماً مع فحوى نصّ الرسالة المتلو علينا اليوم. مَن لم تصل إليه بشارة الإنجيل أو مُنعَت عنه لسبب من الأسباب، ليس بالضرورة محروماً من نعمة الله ولا من عنايته. فهو أيضاً ميّال بالطبيعة إلى الخير كما خَلَقه الله، وإذا عَمل بمُقتضى هذا الميل يكون من «الذين يُظهِرون عَمَل الناموس مكتوباً في قلوبهم»، كما يقول الرسول بولس.

قد يتساءل إنسان هنا، هل يعني هذا الكلام أنه بما أنّنا ميّالون بالطبيعة إلى الخير، يكفينا أن نعمل بُمقتضى هذا الميل لِنَخلُص؟ أي هل أن فعل الخير بدون الإيمان بالإنجيل كاف؟ قَطعاً لا، وهنا يَكمُنُ المعنى الآخَر لفَحوى الرسالة وللقولَيْن أعلاه. معايير الصلاح تتبدّل بحسب الأزمنة والعصور والحضارات والثقافات، أي إن مَيل الإنسان طبيعياً إلى الصلاح مُعرّض إلى التقلّص أو حتى الإضمحلال بتأثير مُقتضيات الدنيا. أما معايير الصلاح بحسب الإنجيل فمُطلَقَة، وعابرة للعصور والثقافات والحضارة. مَيلُنا الطبيعي إلى الخير هو نعمة من الله بلا شكّ، وحده الإنجيل يُحَصّنها بل وينمّيها إلى الكمال. بمعنى آخر إن أعمال الرحمة والمحبة وغيرها من الصلاح، ما لم تَكُن حُبّاً بالله وإيماناً بإنجيله، تنحرف بسهولة لتصبح غايتها أن يرى الناس «صلاحنا» فيمدحوننا ويمجّدوننا فننتفخ.

فيما بينها* يوم يدينُ اللهُ سرائرَ الناسِ بحسبِ إنجيلي بيسوعَ المسيح.

الإنجيل

(متى ٤: ١٨–٢٣)

في ذلك الزمان فيما كان يسوع ماشياً على شاطئِ بحرِ الجليل رأى أخَوين وهما سمعانُ المدعوُّ بطرسُ وأندراوسُ أخوهُ يُلقيانِ شبكةً في البحر (لأنَّهما كانا صيَّادَيْن)* فقال لهما هلمَّ ورائي فأجعلَكما صيَّادَي الناس* فللوقتِ تركا الشباكَ وتبعاهُ* وجازَ من هناك فرأى أخَوَينِ آخَرَينِ وهما يعقوبُ بنُ زبدى ويوحنا أخوهُ في سفينةٍ مع أبيهما زبدى يُصلِحانِ شباكَهما فدعاهما* وللوقتِ تركا السفينةَ وأباهما وتبعاهُ* وكان يسوعُ يطوفُ الجليلَ كلَّهُ يعلّمُ في مجامعهم ويكرزُ ببشارةِ الملكوتِ ويشفي كلَّ مرضٍ وكلَّ ضُعفٍ في الشعب.

تأمل

«لأن ليس عند الله محاباة للوجوه... يوم يدين الله سرائر الناس بحسب إنجيلي بيسوع المسيح».

لا يطرأ على أفكارنا ان كل ما نفعله ينتهي بحياتنا الحاضرة بل يجب أن نؤمن بأن الدينونة لا بد منها، وان كل إنسان سيجازى على حسب أفعاله، وإلا فلماذا بسط الله السموات العظيمة بهذا المقدار ومدّ الأرض وأوسع البحر وملأ كل شيء بالهواء وأظهر المهن المختلفة. لماذا هذا كله لو لم يشأ الاهتمام بنا حتى النهاية؟ أنظرت إلى الصِدّيقين كم تحملوا من المصائب والعذابات، ثم قضوا قبل أن ينالوا شيئاً حسناً، خلافاً للآخرين الذين طفحت حياتهم بالفساد، والمعتدين على غيرهم، والمضايقين الأرامل والأيتام، والمتلذذين بالثروة والغنى والزخرف وكل ملذات العيش، ومع ذلك فقد مضوا ولم يَنَلْهم أدنى ضرر. ولكن، كما ينال الأولون الجائزة عن فضيلتهم ينال

في ختام مَقطَع الرسالة لم يَقُل الرسول بولس «يوم يُدين الله خطايا الناس» بل «سرائر الناس»، أي خفايا قلوبهم. لن تُسأل أمام الله عن أفعال صلاحك بل عن خلفيّاتها، عن صدقها، ومعيار المساءلة واحد لمن لهم ناموس ولمن ليس لهم، وهو إنجيل يسوع المسيح.

الحياة في المسيح

تعيّد الكنيسة المقدسة في العشرين من حزيران للقديس نيقولاوس كاباسيلاس الذي ولد في مدينة تسالونيكي عام ١٣٢٢. هناك تلقّى تعليمه المسيحي على يد دوروثيوس فلاتيوس الذي صار متروبوليت تسالونيكي بين ١٣٧١ و١٣٧٩. دخل القديس نيقولاوس مدرسة الفلسفة في القسطنطينية وبرع في فن الخطابة والكتابة وصار لاحقاً أحد أعوان الامبراطور يوحنا السادس. تقول بعض المصادر أن قديسنا دعي ليكون خلفاً لخاله نيلوس كاباسيلاس متروبوليت تسالونيكي (١٣٦١–١٣٦٣)، إلا أنه بقي علمانياً. عاش قديسنا في أزمنة سادها من جهة صراع سياسي بعد وفاة الإمبراطور واندلاع حرب أهليَّة، ومن جهة أخرى جدل لاهوتي بين القديس غريغوريوس بالاماس وبرلعام في شأن إمكان تأليه الإنسان بالقوى غير المخلوقة للنعمة الإلهية. فبرز القديس كاباسيلاس في مواقفه الراسخة في تأييد التعليم الأرثوذكسي.

أسس قديسنا دير «الضابط الكل» الذي يُعرف بدير «فلاتادون» في مدينة تسالونيك، كما وضع العديد من المؤلفات والعظات إلَّا أنَّ أشهر أعماله كتابان، وقد تُرجما إلى اللغة العربية: «تفسير القداس الإلهي» و«الحياة في المسيح» .

في كتابه «الحياة في المسيح» يشدد القديس نيقولاوس على ثلاثة أمور: أولًا **المعمودية** التي هي ولادة جديدة وبداية الحياة في المسيح، عبرها يدخل الإنسان إلى «حظيرة النقاوة». يلخّص ثمار المعمودية بـ«محو الخطيئة، مصالحة الانسان مع الله، سكنى الله في الانسان، فتح أعين النفس بالأشعَّة الإلهيَّة، تهيئة كل شيء للعالم الآتي»؛ ثانياً، **المسحة المقدسة (الميرون المقدس)** وهي «القفل المتين لهذه النقاوة» إذ تعطي المؤمن المواهب النافعة للنفس والتقوى والابتهالات والمحبة والنقاوة، كما تعطيه أيضاً روحَ حكمةٍ، روحَ فهمٍ، روحَ مشورةٍ، روحَ قوةٍ، روحَ تقوى؛ ثالثاً **سر الشكر (المناولة)** الذي من خلاله نقدِّم عبادة حقيقية مرضية، ونصبح أبناء الله وأقرباء المسيح عندما نشترك في العشاء الروحي أي عند تناولنا للقرابين المقدَّسة. ففي القداس الإلهي نصير في شركة واحدة مع الرب يسوع ومع جميع اعضاء جسده، الكنيسة.

يشير قديسنا إلى أنه بعد أن سقط الإنسان في الخطيئة، أرسل الله ابنه لكي يكون «طريق العودة إلى الله لإنسانيَّة ضلَّت طريقها»، فحمل خطايانا وتحمَّل من أجلنا كلَّ العذابات والإهانات وصُلب ودُفن وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، مانحاً الإنسان حياةً جديدةً «منزَّهة عن كل عيب» وإمكانية مشاركته مائدته في ملكوته السماوي.

تشترط هذه الحياة الجديدة أن نتَّحد بالمسيح من خلال تناولنا جسد ودم ربنا ومخلّصنا يسوع

المسيح: «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه» (يو٦: ٥٦)، ويضيف القديس نيقولاوس كاباسيلاس أنَّ على المؤمن «أن يشترك في طبيعته الإلهيَّة (أي طبيعة المسيح) وموته وقيامته». وعت الكنيسة الأرثوذكسيَّة أهميَّة اشتراك الإنسان في الطبيعة الإلهيَّة، لذلك تمنح الإنسان منذ اللحظة الأولى لولادته على الأرض هذا الاشتراك والاتحاد بالله. ينال المولود الجديد «الأسرار الثلاثة المُدخِلة» إلى حياة الكنيسة وإلى الشركة مع أعضائها، وهي المعموديَّة والميرون والمناولة كسلَّة واحدة دون أي فصلٍ بينها.

إقامة الأسرار الثلاثة معاً مارسته الكنيسة منذ القديم وما زالت، لأسباب جوهرية لاهوتية. يفسّر قديسنا ارتباط هذه الأسرار الثلاثة بعضها ببعض بقوله: «نعتمد لنصير شركاء في موت المسيح وقيامته. وبعد المعموديَّة المقدَّسة نأخذ المسحة المقدَّسة لنصير مشاركين في طبيعته الإلهيَّة المقدَّسة، ونأكل بعد ذلك جسده ونشرب دمه في الكأس المقدَّسة لنصير شركاء في الجسد الذي اتَّخذه عندما صار إنساناً. هكذا نتَّحد بمن تجسَّد من أجلنا وألَّه الطبيعة البشريَّة ومات وقام».

يبقى للإرادة البشريَّة قرار المحافظة على الحياة في المسيح أو عدمها. والمحافظة عليها تكون من خلال السهر والصلاة المستمرّة «اسهروا وصلّوا لئلا تدخلوا في تجربة. أمَّا الروح فنشيط وأمَّا الجسد فضعيف» (مت ٢٦: ٤١). بدوره يشدد القديس نيقولاوس أنَّ على المؤمنين بالمسيح واجب واحد «أن يحفظوا نواميسه الإلهيَّة ويرتبوا حياتهم وفقاً لإرادته»، أي أن يحفظوا الوصايا الإلهيَّة حفظاً جيداً (أي أن يعملوا بها) ويسعوا جاهدين في نمو الفضيلة، وأن يعيشوا حياة توبةٍ تنقي قلوبهم بعيداً عن ملذات الدنيا وأهوائها. إنّ الحياة في المسيح «ليست من الأعمال التي تفوق قوى الإنسان ما دام يتقوّى بالنعمة الإلهيّة. لو كان تطبيقها من الأمور التي تفوق القوى الإنسانيّة لما عوقب متجاوزو الوصايا المسيحيّة من الله».

لذلك كان القديس نيقولاوس يتلو هذه الصلاة دائماً «أطلب إليك أيها الجزيل الرحمة أن تستجيب لأصوات آلامنا وعرقنا وتتعطَّف علينا. استجب لنا للمحبَّة التي أحببناك فوق الأهل والأبناء وفوق كل شيء، فوق نفوسنا المشتاقة لمجدك، وانظر إلى شعبك وميراثك وهب السلامة لمدينتك، وقدِّس كنيستك واجعل كهنتك يلبسون العدل، وأعطِ حلمك للملوك وبدِّد المعارك الأهليَّة وبطّل الدوار المستحوذ علينا وأوقف الحروب العامَّة والخاصة التي يَشنُّها الشيطان. كن عوناً لجميع الذين يستدعون اسمك واترك خطايانا وشدّدنا في وصاياك، وأهّلنا أن نجتاز حياتنا لمجد اسمك، واجعلنا في الحياة المستقيمة مع محبّيك لميراث ملكوتك»، آمين.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www .quartos.org.lb

الآخرون أيضاً جزاء فسادهم عند انتهاء حياتنا في هذا العالم، لأن الله موجود وعادل وسيجازي كل واحد بما يستحق، وإن كان في هذه الحياة لا يعاقب الفريق الأول على خطاياه ولا يجازي الثاني على فضيلته، فهذا دليل على انه سيأتي وقت ينال فيه كل ما يستحق. لذلك جعل الله في نفس كل منا حاكماً يقظاً لا يغفل ولا ينام عن شيء ألا وهو الضمير. أجل لا يوجد بين البشر حاكم كالضمير.

ان حكام البشر يرتشون ويلينون بالتمليق ويغضون النظر من الخوف ويحابون ويميلون عن الحق لأشياء كثيرة. أما الضمير فلا يؤثر فيه شيء مما ذكر ولا يرتشي ولا يؤثر فيه التمليق والتهديد والوعيد فإنه ينطق بالحكم العادل ويحاكم نفسه دائماً مدى الحياة ولا ينسى ما حدث مع مرور الزمن ويبكتنا عن النميمة وعمل الشر.

القديس يوحنا الذهبي الفم